دعوة الرفض النبيلة

روزاليوسف : 9-10-78

بقلم: صلاح حافظ

يحق للعرب ولا شك أن يرفضوا كل ما تم الاتفاق عليه فى "كامب ديفيد".

فكل إنسان فى هذه العالم يملك أن يقبل ما يشاء. وأن يرفض ما يشاء. ولا يستقيم مع المنطق أن نطالب العرب بالتروى فى دراسة اتفاقية "كامب دافيد" ثم لا نتروى نحن فى دراسة آراء الرافضين لها.

وليس مما يفيد أن نفسر المعارضة للإتفاقية بأنها مجرد "أوامر من موسكو" فهذا التفسير لا يقل سطحية عن تفسير خصوم الاتفاقية لها بأنها "مؤامرة أمريكية" وليس مما يشرف العرب أن يصوروا أنفسهم أمام العالم كله فى صورة أتباع لا يتصرفون إلا بإرادة سيد ما. ولا يختلفون إلا إذا اختلف هذا السيد مع ذاك.

إن الصراخ لا يجدى بالطبع فى لحظات المصير واتفاقية كامب دافيد مصيرية بلا جدال، فهى تطوى صفحة من تاريخ الأمة العربية ونضع صفحة جديدة، مختلفة تمام الاختلاف.

ولو كانت هذه الاتفاقية عملا فرديا قام به السادات وكارتر وبيجين لما كان لها أدنى خطر ولما يساوت ثمن الحبر الذى كتبت به، أو "الباسنيليا" اللازمة لعلاج الحناجر التى صرخت بصدها أو صرخت معها.

لكن خطر هذه الاتفاقية. ووزنها التاريخى، يشغل فى أنها حصيلة الواقع العربى القائم فعلا، والفصل الختامى لثلاثين عاما من الفشل العربى المتكرر والمستمر حتى هذه اللحظات. وأن كل ما هى متهمة بالتسليم به على الورق سبق أن سلب العرب على أرض الواقع.

<u>البيع على أقساط</u>

العرب مدعوين عام 1948 إلى إنشاء دولتهم الفلسطينية العربية بجوار دولة اليهود، وعلى مساحة أكبر من مساحتها. لكن حكومات اليمين العربى رفضت الدعوة. وفضلت أن تلتهم أرض الدولة الفلسطينية وتضمها. وسنمت عمليا بأن تكون الدولة الوحيدة التى يعترف بها العالم. على أرض فلسطين فى دولة إسرائيل.

وكان العرب مدعوين – ما بعد عام 1948– إلى تحويل اتفاقيات الهدنة مع إسرائيل إلى معاهدات سلام تسمح بنشيء دولة فلسطين العربية. ولكنهم رفضوا. وتمسكوا بأنه لا تفاهم.. ولا تفاوض. ولا مناقشة. ولا سلام، ولو كان ا لثمن أن يتحول شعب فلسطين العربى إلى سائحين بلا وطن ولا هوية ولا مستقبل.

وكان العرب مدعوين. عندما بدأ الشعب اللاجئ يستيقظ ويقاتل. أن يساندوا قيادته الثورية الوليدة. لكنهم خافوا منها. وبالذات من ثوريتها. وتسابقت أنظمتهم على تمزيق هذه القيادة، وتحولها إلى فرق تستلهم العواصم المقاتلة .ز أكثر مما تستلهم مصالح الشعب الذى أنبجها وعهد إليها بقيادته.

وكان العرب مدعوين. بعد حرب أكتوبر. أن يستثمروا وزنهم الدولى الجديد، وثروتهم البترولية التى تضاعفت عدة مرات فى الإعداد لجولة عسكرية أكثر حسما من أكتوبر، وأقدر على استرداد الحق وتحقيق الحلم المشروع لكنهم فضلوا استثمار الثورة التى فرضت على الحرب فى غزو أسواق المال فى نيويورك ولندن وباريس، والدخول فى مباريات البورصات والاحتكارات والشركات الدولية والبنوك العالمية، وأصبحت معركتهم الأولى هى احتلال المقعد اللائق بهم على مائدة الرأسمالية العالمية. مع مساندة قضية فلسطين فى أوقات الفراغ بالتصريحات البليغة. وبعض فرائض الأموال.

وهكذا.. تنازل العرب عمليا. وعلى أقساط منذ عام 1948. عن كل فرصة أتيحت لهم لانقاذ فلسطين.

رفضوا التقسيم عندما كان العالم يطالب به. ورفضوا التفاوض عندما كان اليهود يحلمون به. ورفضوا أن تكون للشعب الفلسطينى العربى قيادة مستقلة تستلهم مصالحه.

ورفضوا عندما تدفق المال فى أيديهم أن يسخروه لقضية التحرير وطوال هذا التاريخ كانوا عمليا يضحون بفلسطين، ويخسرونها شبرا وبيتا بعد بيت وحقا بعد حق.

واتفاقية كامب دافيد ليست إلا الحساب الختامى لهذا التاريخ المؤلم كله.

فهى لم تبع شيئا لم يسبق بيعه. ولم تتنازل عن شيء لم يسبق التنازل عنه. وقد يكون أهم ما يدعو إلى قبولها أنها تتيح فرصة تثبيت الخسائر العربية عند الوضع الراهن. وتعفى فلسطين والعرب من احتمال النزول على شروء أسوأ فى المستقبل.

أما تعويض الخسائر العربية. وفرض السلام بالشروط العربية، وتحقيق الحلم العربى. كاملا غير منقوص. فأشياء لم يكن مطلوبا من أنور السادات أن يعود بها من كامب دافيد. ولو أراد لما استطاع، لأنه لم يسبق فى التاريخ لأى مفاوض. ولن يستطيع أى مفاوض فى المستقبل أن يسترد بالكلام ما سبق تسليمه بالفعل.

<u>قطع المقطوع</u>

صحيح أن المفاوضات ليس سبيلنا الوحيد.

نحن نستطيع – إذا أردنا استرداد ما فقدناه – أن نلجأ إلى الحرب الشاملة. أو إلى النضال الشعبى المسلح على طريقة فيتنام.

وهذا فى الواقع هو ما تطرحه علينا الآن دول "جبهة العمود العربى" المشهورة فى مصر باسم جبهة "الرفض" وهى تطرحه منذ قبلت مصر وقف القتال فى حرب أكتوبر. ولم تقصر فى إعادة طرحه فى جميع المناسبات التالية، ابتداء من اتفاقية فض الاشتباك الأولى فى سيناء، وانتهاء إلى اتفاقية كامب دافيد الأخيرة.

ولا يستطيع الآن عنده ذرة من الثورية. أو الوطنية. أو مجرد الكرامة الشخصية. أن يرفض مثل هذه الدعوة النبيلة.

ولكن المشكلة أن الداعين إليها غير مستعدين لتحمل أعبائها ولا يسمحون بأية مخاطرة فى سبيلها. يفزعون من أية خطوة تتم فى اتجاه تحقيقها.

www.anwarsadat.org

تحتم دعوة الحرب الشاملة- مثلا- أن يحولوا اقتصادهم إلى اقتصاد حرب. وأن ينفقوا على السلاح والذخيرة والتجنيد والتدريب نصف دخلهم القومى كما فعلت مصر طوال ربع قرن الماضى. لكنهم غير مستعدين لمجرد مناقشة هذه الفكرة المفزعة. فالفقراء منهم لا ينفقون على الأعداد للحرب إلا ما يتبرع به الأثرياء والأثرياء ينفقون ما لديهم إما على التنمية. وإما على الاستثمار فى البنوك الرأسمالية. وأما على الاستمتاع بالتكييف والسيارات والمعلبات فى أمان من أية رصاصة أو قنبلة. وليس هذا بالتأكيد حال قرم يتهيأون لانتزاع الحق بالحرب. أو حتى لمجرد الصمود لها إذا فرضت عليهم.

ثم أن الحرب الشاملة لا يمكن تصورها بدون مصر. ودول الصمود نفسها تردده هذه الحقيقة صباح مساء. واتهامها الأساسي للسادات هو أنه يتصرف مستقلا عن باقى العرب. وأنه بذلك ينفذ مؤامرة أمريكية خطيرة تتلخص فى عزل الشعب المصرى عن أمته العربية المناضلة لكن الذى يقرأ الصحف يلاحظأن جميع القرارات الرسمية التى صدرت بعزل مصر عن الأمة العربية صدرت من دول الصمود بالذات كانت ليبيا أول من قطع العلاقات مع القاهرة. وكان أول مؤتمر للصمود هو أول مناسبة فى التاريخ العربى تقرر قرارا "بتجميد" العلاقات مع مصر. وقد رد السادات على هذا القرار السخيف بقطع العلاقات أصلا. فأبت دول الصمود فى مؤتمرها الأخير غلا أن تصدر قرارا من جانبها بقطع هذه العلاقة المقطوعة وتركت للمؤرخين أن يفسروا للأجيال القادمة أعجب لغز فى التاريخ السياسي لبنى البشر، لغز جبهة تقاتل ضد مؤامرة لعزل مصر عن العرب، وسلاحها الأساسي هو إصدار القرارات بعزل مصر عن العرب.

هذا عن دعوة "الحرب الشاملة" التى تطرحها دول الصمود بديلا للمفاوضات التى قام بها السادات. فماذا عن دعوة "النضار الشعبى المسلح" الذى تطرحه أيضا كبديل أضمن، واكثر حسما؟.

هنا لا تكتفى دول الصمود بعدم الإعداد لهذا النضال.. وإنما هى تفزع فزعا حقيقيا منه. وتقاوم بالقوة كل ما يهدد باندلاعه.

ذلك أن النضال الشعبى المسلح يفرز دائما قياداته الخاصة التى لا سلطان عليها لأحد وجميع الأنظمة فى دول الصمود غير مستعدة وغير قادرة على التعامل مع هذا الطراز من القيادات.

ويكفى دليلا على هذه الحقيقة عدد الثوار الفلسطينيين الذين ذبحهم الجيش السورى فى لبنان. أو اغتلتهم العصابات العراقية فى عواصم أوروبا. ويكفى أن نحصى عدد الشيوعيين الذين شنقتهم بغداد أو قتلتهم بالرصاص فى العام الماضى وحده أو اليساريين الذى منحهم القذافى فى ليبيا قبل عامين بدعوى أنهم مرسى يحتاجون إلى الاستشفاء العقلى. لندرك موقف قادة "الصمود" من أية قيادة ثورية عندها الجماهير دون استئذان منهم. فما بالك بقيادات تفرزها حرب شعبية مسلحة. تتمتع بأظافر وأنياب. ولا يحكمها إلا قانون المعركة.

ولو كانت دول الصمود مستعدة حقا لتزعيم حرب شعبية أو لمجرد إطلاق الطاقات المهيأة للحرب الشعبية لما فات أن تنتهز فرصة مؤتمرها الأخير فى دمشق لإطلاق الشرارة فهذا المؤتمر أنعقد بعد كامب دافيد. وأعلى قادته واحدا بعد الآخر أن المصيبة وقمت بالفعل. وأن فلسطين بيعت انتهى الأمر. والطبيعى فى حالة كهذه أن يدعوا هؤلاء القادة شعبوهم إلى حمل السلاح والاستعداد لمواجهة المصيبة والرد عليها. ولكن لا كل شيء ولا هذا أعقد المؤتمر وانفض بغير كلمة واحدة تدعوا شعوبهم أن تتحرك على مسرح الأحداث والشعب العربى الوحيد الذى حرضوه على الحركة كان الشعب المصرى حرضوه على إسقاط السادات.

ولماذا يسقط.؟؟؟؟؟!!!!!!!!